وهكذا أخذ الرأى العام يتحول حتى استطاع المستر فرانكلين روزفلت أن يستميل الأمة الى صفه ، حينما أعلن فى شجاعة وصراحة أن من مبادئه الغاء التحريم . ومنذ انتخب للرآسة فى أوائل هذا العام وهو يسير بالبلاد نحو الألغاء حتى تم له فى أوائل هذا الشهر ما أراد ، بأن حصل على موافقة ست وثلاثين ولاية على الغاء التعديل الثامن عشر .

* * *

والآن وقد انتهى التحريم ، فما عسى أن يكون المستقبل ؟

ان الذين نادوا بالغاء التحريم ، لم يفعلوا ذلك لرغبتهم فى شرب الخمر وحبهم لها ؛ بل ان اكثرهم قد فعل ذلك أملا فى أن الاباحة تقضى على تلك الشرور التى ولدها التحريم . فتنتهى بانتهائه . ولكن من الصعب أن يتنبأ المرء بشىء . فان بضع عشرة سنة تقضيها عصابات الاجرام فى نشر الاجرام والفساد فى جميع انحاء البلاد ، لايتصور أن تنتهى آثارها فى عشية أو ضحاها . ومما لاشك فيه أن البلاد اليوم فى حال انتقال شديد الخطورة ، فقد تفيق بسرعة من تأثير هذه السنين العصيبة ، وقد تبقى تحت ظلها القاتم زمنا طويلا ، خصوصا اذا ذكرنا أن عدد الذين يشربون الخمر قد ازداد ولم ينقص اثناء التحريم . وأن الاباحة الجديدة لابد أن تؤدى زمنا ما الى الاسراف فى أمر محبوب كان ممنوعا فاصبح مباحا . ومن غير شك ان الحكومة تعزى نفسها بأنها ستجنى من الاباحة ضرائب تقدر بنحو خمسمائة مليون دولار . (أى نحو مائة مليون جنيه) .

على كل حال لايستطيع المرء أن يملك نفسه من الأسف الشديد على فشل هذه التجربة الشريفة التى لم تكن ترمى إلا الى أشرف المقاصد وأسماها وهو إعلاء شأن الانسان وإسعاده .

م . ع . م

تصحيح

جاء فى قصيدة (شهيدا الطيران) المنشورة فى العدد الماضى قوله : (واشهدوا الانسر تهوى للقرار والصواب للعزاء) وقوله: (فدية لوصح فى الموت الفرار) والصواب : الفداء

وحدة الوجود . . .

كثير من المذاهب الفكرية ، والمذاهب العقلية ، والطرائق الرياضية ، ترمى إلى « وحدة الوجود » ، وكلها تتباين فى طرق التفكير ، ونهج الفلسفة ، ولكنها متفقة مجمعة على حقيقة واحدة ؛ تلك الحقيقة هى أنه بين غير المتناهى والمتناهى علاقة يتأدى بها الى اتحاد الطرفين

وكما اتفقت تلك الفرق فى اختلافها على هذه الحقيقة . اتفقت فى وجهة النظر التى سارت بهم على ضوء المقدمات حتى انتهت بهم الى هذه النتيجة ، فهم متحدون فى المصدر والمورد مختلفون فى الطريق الذى بينهما

فالكثرة الغالبة من فلاسفة الصوفيين فى الاسلام يعتبرون أن الحق موجود قبل كل موجود ، وهذا صحيح ، ثم يقولون وقد وجدت الكائنات بعد ان لم تكن ؛ ولما كان غير معقول أن يوجد شىء من لا شىء لزم بالبداهة أن يكون الوجود هو عين الموجود ، وأن ليس وجود الا وجود الحق يصور أحوال ما هى عليه الكائنات ، فالله ظاهر فى المظاهر ، والمظاهر هو على ماهى عليه

وهذا بعينه هو ما انتهى اليه « هيراكلت » الفيلسوف اليونانى اذ استنتج أن الكائن الالهى يتخلل صور الاشياء المتناهية ، والمتناهى نفسه لا يوجد الا فى الله

وتكاد تكون عين ما وصل اليه « تولاند » أول من أطلق اسم الاتحاد فى أوربا . حيث زعم ان العالم ليس منفصلا عن الله إلا فى وهمنا فقط

وقديما تساءل الناس من اين جاءت الروح ، ومم نشأ الجسم ؟ ثم قالوا اذا كان واجب الوجود غير متناه وجب الا يوجد شىء خارجا عنه ، لان غير المتناهى يستغرق كل موجود

وإذا تقرر أن الأرض وماتبع ليست إلا مجموعة صغيرة حقيرة من مجاميع لاعدد لها تسير بقانون فى فضاء لايتناهى

اذا تقرر هذا جاء العقل فقال إن شيئين غير متناهيين لايوجدان معا ، فاذا كانت الكائنات غير متناهية ، والخالق غير متناه ، وجب أن أحدهما هو الآخر

وعلى ضوء هذا الفكر مشى العقل طفلا يحبو إلى الاتحاد ، فلما أن شب واستطاع أن يمشى على ساق الاعتقاد بافتراض الشك جرى الى المذهب ماستطاع الى ذلك سبيلا

سرى هذا المذهب الى الاسلام فى القرن الثالث ، ومشت به الفلسفة ممثلة فى اساطين الفكر ، وكبار الصوفيين ، واذ كانت الفكرة جديدة ، وكل جديد — فى الغالب الأعم — منظور إليه بنظرات الخوف والحذر — اذ كانت الفكرة كذلك لقى أصحابها الشيء الكثير من الايذاء فقتل البعض ، ومثل به ، وربما حرقت جثث البعض وهرب البعض إما من وجوه اولئك المتفقهين ، وإما من النظرية ذاتها ، وعمد البعض الى الرمز فى الكتابة يعبر به عما يريد فى عبارة مشكلة مطاطلة تلين مع التأويل والتخريج ، فخرجت فى تآليفهم كثير من المعميات . يقول بعضهم : جلست عن ابن سبعين من وجه النهار الى آخره ، فجعل يتكلم بكلام تعقل مفرداته ، ولا تعقل مركباته . . .

وغلبت هذه الدندنة فى كتبهم الكبيرة ، فأنت اذا قرأت الفتوحات لابن عربى أو الفصوص مشيت فى سهل وحزن ، ومرت بك مآمن ومجاهل ، ومثل هذين فيما قلنا كثير من كتب رجالات التصوف القدامى

وتبدو هذه الظاهرة قوية فى اشعارهم ، لأن الشريبنى على البسط والايضاح الذى لا يقبله كله الشعر ، ولهذا عمدوا الى النظم فألقوا فيه بآرائهم ملفوفة رمزية لتقبل التأويل كلما حزبهم من المتفقهة حازب

لم نستطع ان نتعرف بالضبط متى نشأت « وحدة الوجود » إطلاقا ، ولا أين ، أما الكيفية فنطق الصوفيين فيها أبلج . وقديما كان لوحدة الوجود أثر كبير فى الأديان القديمة — غالبها — فمست خرافات الهند القديمة اطرافها مساً رفيقا وشديدا على اختلاف الاساطير بعدا عنها وقربا منها ، وذهب بعض اليونانيين القدماء إلى ان أصل العالم يجب ان يكون مادة لا وصف لها ، ولا تقبل الفناء ، وأشرنا الى قولهم ان غير المتناهى يستغرق كل موجود

وتلك هى بعينها فكرة ابن سبعين ومنطقه القائل : ان واجب الوجود كلى وممكنه جزئى ، ولا وجود للجزئى الا فى كلى ، كما لا يتحقق وجود الكلى الا بجزئياته

ولابن عربى فى الباب تسع وعشرين ومائة فى ترك المراقبة لاتراقب فليس فى الكون الا واحد العين ، فهو عين الوجود ويسمى فى حالة بالله ويكنى فى حالة بالبعيد

وشعر الصوفية طافح بالوحدة الوجودية منغمس فيها فى تلميح أو تصريح ، ومازال القوم يرددون قول الغزالى — أو ماقيل انه قاله « ليس فى الامكان أبدع مما كان » وقالوا — بعيدا عن التأويل — نعم . لأن المخلوق صورة الخالق وليس أكمل منه تعالى

ووقف لهم جماعة بالمرصاد توفروا على تفنيد أقوالهم ، ومناقشة آرائهم ، ثم التشهير بهم ، والنيل منهم ، وهذا ابن تيمية يعلن عليهم فى الفتاوى حربا شعواء ، وقديما قال « ماأظن الله يغفل عن المأمون لاباحته الفلسفة » ! !

عرج قوم بالفلسفة فى أيام العباسيين على الدين وحاولوا أن يوفقوا بينهما ، فرجعوا يحملون عبء الهزيمة ثقيلا ، ومشت وراءهم الحكمة القائلة (سلم وانت أعمى) تلوح لهم ظافرة بهم ، ظاهرة عليهم

وجاء صاحب جلاء العين فكان كابن تيمية فيما أراد وقال ، ثم جاء صالح المقبلى فى كتابه العلم الشامخ فسخر بهم ، وفسق كلامهم ، وعراه عن الحقيقة ، وامتدت كلماته اليهم فاصابت منهم مقاتل

أحيا المتصوفون أمرهم فقام الجيلى يقول : « صح لنا هذا كشفاً فمن شاء فليؤمن . ومن شاء فليكفر »

وبدهى ان دعوة الجيلى هذه كاذبة ، وألا فما هذا المنطق يقدمونه بين يدى كل قضية ؟ وماهذه المقدمات التى تتكىء عليها النتائج ؟

على أنهم لم يعدموا نصراء يدافعون عنهم ويدفعون ، وهذا القزوينى يعقد فى كتابه « درر الفرائد » باباً فى ذكر مصطلحات القوم . قال : أتطمعون فى فهم كلامهم وهو انما يعرف بالذوق لا بالمنطق ؟ « من ذاق طعم شراب القوم يعرفه . . » ثم أخذ يفسر رموزهم ، ويستدل عليها فناقض نفسه .

ويقول غلاة المتصرين : إذا ظهر كلام الصوفية خارجا عن ظاهر الشريعة فهو مقول فى حال سكرهم ، والسكران سكرا مباحا غير مؤاخذ ؛ فان لم يكن كذلك فلا بد أن يكون له تأويل ظاهر ، فان لم يكن فله تأويل باطن لا يعلمه إلا الله والراسخون .

فأنت ترى أنهم يريدون أن يبرئوهم — إذا كان هناك جرما — على أى حال ، ومهما كانوا ، ولنا عليهم أن نقول لو كان كلام الصوفيين موافقا للشريعة الظاهرة ففيم الرمز وفيم الابهام ؟

وبعد ، فهذا مذهب وحدة الوجود فى أظهر مناحيه ، ولعلى مستطيع أن أعود اليه فيما بعد ؟

طاهر محمد أبو فاشا